الربيعي فانهُ في هذا اليوم يجمع الله كل مَن في الفردوس ويبعثهم الارض في السنة التالية بالمرايدة فمَن زاد في عُمرها اكثر من غيرهِ استولى على امور الناس تلك السنة وسُمّي رجُل السنة واصاب الناس بالخصب والصحة او بالجدب والمرض كما شاء

ويقولون ان الشيخ عادي صار نبيًّا على هذه الصورة وهي انهُ كان في السنة العشرين من عمرهِ راكبًا في احدى الليالي في ضوء القمر فخرج امامهُ من الارض جملان رأسها كرؤوس الجواميس ووبرها كالشوك وعيونها خضراء برّاقة وجلدها اسود ان وكان خروجها بقرب قبر ابي ريش فارتفع القبر رويدًا رويدًا حتى صار كالمأذنة واخذ يرتجف فخاف الشيخ عادي وكان بجانبهِ كوز ماء فوقع وتراءى لهُ حينئذٍ ولد صبوح الوجه لهُ ذنب كالطاووس فقال لهُ لا تخفْ فان المأذنة ستقع وتخرب الارض ولكن انت والذين يتبعونك لا يتضررون بذلك بل يملكون الارض . انا ملك طاووس وقد اخترتك لنشر دين الحق في الدنيا ولما قال ذلك اخذ نفس الشيخ عادي الى السماء فثبت فيها سبع سنوات تتعلّم وتتهذّب وبقي جسدهُ مرتاحًا بقرب قبر ابي ريش ثم رجعت نفسهُ اليهِ من السماء قبل ان يبلغ ماء الكوز الارض . انتهى

المرحوم سمعان كرَم

كُنْ محسنًا مهما استطعتَ فهذه الـــدنيا وان طالتْ قصيرٌ عمرُها
انَّ المآثرَ في الورى ذريّةٌ يفنى مؤثرها ويبقى ذكرُهـــا
فترى الكريمَ كشعلةٍ من عنبرٍ ضاءت فان طفئت تضوّع نشرُها

للهِ في خلقهِ سرٌّ عجيب فانك بينما ترى الناس متماثلين في مقوّمات نوع الانسان ترى كلاًّ منهم يختلف عن الآخر بما يميزهُ عن ابناء نوعهِ . وهذان الناموسان اي ناموس التماثل بين افراد النوع الواحد في مقوّمات النوع وناموس التخالف في مميزات الفرد يشملان جميع المخلوقات الحية ولا سيما نوع الانسان

وكما يختلف الناس في الهيئة يختلفون في الهمم فبعضهم خُلق ليسود وبعضهم ليُساد . بعضهم ليقود وبعضهم ليُقاد . بعضهم ليفيد ابناء نوعهِ ويستأثر بمدحهم وشكرانهم وبعضهم ليعيش لنفسهِ او لمضرّة غيرهِ . والكرام قليل عددهم في كل زمان ومكان ولكنْ لا بدَّ منهم لاصلاح الاجتماع الانساني وتوطيد دعائم العمران . ويمكن ان يقاس عمران شعب

بعدد ما فيهِ من الفضلاء النبلاء فانهم هم المصلحون لشؤونهِ المرشدون لآحادهِ المعززون لاركانهِ . وهؤلاء الفضلاء لا ينحصرون في فئةٍ من الناس بل ينبغون من بين اهل السيف كما بين اهل القلم ومن بين ارباب التجارة كما بين ارباب الصناعة وانما كانوا فهم القادة والقدوة في القول والعمل وبهم يرتفع شأن البلاد . وكلما فقدتْ واحدًا منهم فقدت بهِ دعامة من دعائم عزها

والمنطف منصب لنشر كل ما بهِ نفع دائم ولما كانت سيَر الفضلاء من انفع ما ينشر لِيُنتفع بهِ كنا ارغب الناس في التفتيش عن هذه السير لنشرها فيهِ . ولسوء الطالع لم نجد بين الذين يكاتبوننا في هذا الموضوع مَن يتوخّى ذكر الامور الفاضلة التي امتاز بها مَن يكتبون لنا سيرته فافاد بها واستحق ان يكون قدوةً لغيرهِ بل يكتفون غالبًا بذكر النعوت والالقاب التي كلّت اسماعنا من ذكرها ولم يبقَ لها معنى لان جمهور الكتّاب يطلقها على كل احد . ولذلك نقتصر من ترجمات ابناء الوطن على مَن عرفناهُ بانفسنا وعرفنا فضله بالخُبْر لا بالخَبَر وهذا الذي حدانا الى نشر ما يأتي من ترجمة كريم قومهِ المرحوم سمعان كرم فنقول

وُلد هذا الفاضل في اسكلة طرابلس الشام سنة ست وعشرين بعد المائتة والالف للميلاد وتعلم فيها القراءة والكتابة وهذا كل ما كان يتعلمهُ الشبان وقتئذٍ . ولقد سمعناهُ مرارًا كثيرة يغبط ابناء عصرنا هذا الذين يجدون ثمار العلوم دانية القطوف فيجتنون اطايبها . ولكن كم من فتًى من ابناء هذا العصر احيا الليالي الطوال في الدرس والتنقيب واتقن لسانين او ثلاثة وهو لا يستحق ان يكون كاتبًا في محلّ التقييد . فليس النجاح بكثرة الدرس بل بعلو الهمّة . وقد قدّر الله ان تضيق بلاد الشام بسكانها وهم لا يبلغون مليونين بعد ان كانت رحبة على اكثر من عشرة ملايين فتزحم التقييد مع مَن نزح الى القطر المصري قبل ان طرّ شاربهُ واقام في الاسكندرية سنة ١٨٤٨ واكبّ على التجارة فنبغ فيها وكسب ثروةً وافرة . والاكتساب الثروة بالطرق القانونية المحلّلة ليس بالامر الطفيف بل يقتضي مَن الاجتهاد والمثابرة قدر ما يقتضيهِ بلوغ اسمى مراتب العلم او اعلى مناصب السياسة . ولا نظن ان الرجل الذي يرتقي بسعيهِ حتى يصير قائدًا او واليًا او وزيرًا او حتى يصير من فطاحل العلماء مستحق للاكرام اكثر من الرجل الذي ينبغ في التجارة حتى يصير من اغنياء التجار ومن اكثرهم امانةً واعتبارًا

وانما استحق الانسان الاعتبار على جمع الثروة بالجدّ والاجتهاد فهو احقّ بالاعتبار

اذا انفق مالهُ في خير الطرق وأستخدمهُ لنفع ابناء نوعهِ . وهنا نذكر الفقيد بالاكرام والاجلال فان صدقاتهِ كانت متوالية . ولم يتصدّق كمن يجد الصدقة فرضًا عليهِ فيحسب انهُ تمّم فريضة حالما خرجت النقود من يدهِ بل كان يضع صدقتهُ في محلها ويراقبها بعينهِ حتى يحصل منها كل ما يمكن حصولهُ من النفع . ومن صدقاتهِ الكبيرة انهُ بنى كنيسة في اسكلة طرابلس . وعندنا ان البون شاسع بين من يدفع مالاً لبناء كنيسة وبين من يبني الكنيسة . فالكنيسة المشار اليها رأيناها منذ نيف وعشر سنوات وظهر لنا من شكل جدرانها وما فيها وما يحيط بها ان المتصدّق كان مهتمًا في اتقان بنائها وهندستها وزينتها كما كان مهتمًا بتجارتهِ التي ربح بها نفقاتها

ومنها المساعدة في بناء الكنيسة السورية الكبرى في الاسكندرية فقد كتب الينا احد الخلّان الثقات "ان هذه الكنيسة لم تتم الاّ بغيرتهِ المتقدة وسخائهِ الوافر وانهُ كان يتردد عليها وقت بنائها كبنّاء خاص بها وينهض همّة غيرهِ لمساعدتهِ في ذلك"

وكان اكبر مساعد للجمعيات الخيرية التي تعتني بالمحتاجين وتساعدهم مساعدة قانونية ورئيسًا للجمعيّة الخيريّة الارثوذكسية في الاسكندرية ولجمعيّة الوكلاء المفوّضة اليهم ادارة بيعة الروم الارثوذكس . وجمعيّة الوكلاء هذه اعترفت بفضلهِ علانيةً واجمعت على رسم صورتهِ ووضعها في قاعة اجتماعها تذكارًا لهُ واختارت لها رئيسًا خلفًا عنهُ اخاهُ الفاضل الخواجه جرجي كرّم كانَ الفقيد واخويهِ من الابدال

ومنها مساعدة الشبان الذين نقصر ذات يدهم عن وضع اساس مستقبلهم فاننا نعلم اكثر من بيت وضع ذووهُ اساسهُ على المساعدة الماليّة التي نالوها من هذا الكريم . وكم من رجلٍ اشتهر ذكرهُ في الآفاق وانتفع بهِ الالوف لم يكن شيئًا مذكورًا لولا مساعدة رجل كريم مدّهُ بشيء من المال اما لينفقهُ على اكتساب العلم او ليستعين بهِ على العمل

والكريم كشمعةٍ من عنبر كما قلنا في صدر هذه الترجمة ضاعت فان طيّب نضوّع نشرها ولذلك لم ينتشر نبأ الفقيد في مصر والشام حتى ورد على اخويهِ اكثر من مئتي تلغراف والف مكتوب للتعزية وذلك من اجلاّء القوم ورؤساء الديانات واصحاب المراتب في القطر المصري والسوري وبعض الجهات الاوربية . ونشرت جرائد مصر والشام بما هو جديرٌ بهِ وتسابق الشعراء الى رثائهِ وكلهم آسفٌ على فقدهِ معدّد لمناقبهِ مستطردٌ لهُ شآبيب الرحمة ولآلئ نعمة التعزية . والمنتطف يشاركهم في ذلك وينشر سيرة الفقيد لتكون ذكرًا مخلدًا لهُ وقدوةً لابناء وطنهِ